المبحث الخامس:الفرق بين الخشوع والوجل والقنوت والسكينة والإخبات والطمأنينة

الفرق بين هذه الأمور على النحو الآتي:

١- **الخشوع:**لين القلب وخضوعه،ورقته،وسكونه، وحضوره وقت تلبُّسه بالطاعة، فتتبعه جميع الجوارح والأعضاء: ظاهراً وباطناً؛ لأنها تابعة للقلب، وهو أميرها، وهي جنوده، والله تعالى أعلم(١).

٢- **الوجل:**الخوف الموجب لخشية الله تعالى، وأكبر علاماته: أن يقوم صاحبه بفعل أوامر الله، وترك نواهيه رغبة فيما عنده من الثواب، وخوفاً مما عنده من العقاب، والله تعالى أعلم(٢).

٣- **القنوت:** القنوت يرد في القرآن على قسمين:

القسم الأول: قنوت عام لجميع المخلوقات،كقوله تعالى: ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾(٣)، والمعنى: الكل عبيد خاضعون لربوبيَّته، وتدبيره ﷻ، لا معبود بحق سواه.

القسم الثاني، وهو الأكثر في القرآن الكريم: القنوت الخاص: وهو دوام الطاعة لله على وجه الخشوع، مثل قوله تعالى: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً**﴾(٤)، ونحو ذلك(٥)، والقنوت أيضاً

---

(١) تقدم ذكر المراجع لهذا المعنى في المبحث الأول، في مفهوم الخشوع اصطلاحاً.

(٢) تقدم ذكر المراجع لهذه المعاني في المبحث الرابع: فضائل الخشوع، البند رقم ١٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص ٣١١، و ص ٣٦٢.

يرد لعشرة معانٍ أخرى، تقدم ذكرها بالتفصيل[١] .

٤- السكينة:

قيل: السكينة: المهابة والرَّزانة والوقار[٢].

وقيل: ما يجده القلب من الطمأنينة ... وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده، ويطمئن وهو مبادئ عين اليقين[٣].

وقيل: السكينة: الطمأنينة[٤]، وتأتي السكينة بمعنى: الوقار، والتَّأنِّي في الحركة والسير: «السكينةَ، السكينةَ» أي الزموا السكينة[٥]، وفي حديث الخروج إلى الصلاة: «**فليأتِ وعليه السكينة**»[٦].

وقد ذكر الله سبحانه «السكينة» في كتابه في ستة مواضع:

الأول: قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[٧].

الثاني: قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى**

---

(١) تقدم ذكر ذلك بالأدلة في المبحث الرابع، البند رقم ١٢.

(٢) انظر: المصباح المنير، للفيومي، ١/ ٢٨٣، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ص ٤٨٦.

(٣) التعريفات للجرجاني، فصل الكاف، ص ١٥٩.

(٤) القاموس المحيط، ص ١٥٥٦.

(٥) رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم ١٢١٨,

(٦) أخرجه الإمام أحمد، ٨/١٨، برقم ٩٠٢٢، والطبراني في معجمه الأوسط، ١/ ٢٩٦، حديث رقم: ٩٨٣، وصححه الألباني في الثمر المستطاب، ص ٢٣٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾[٢].

الرابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٣].

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[٤].

السادس: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله ﷺ، وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رؤوسهم، لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حُنَيْن، حين وَلَّوْا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكُّمِ الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر رضي الله عنه عن حملها، وهو عمر، حتى ثَبَّتَهُ اللَّهُ بالصِّدِّيق رضي الله عنه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة، إلا التي في سورة البقرة» (١).

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «رأيت النبي ﷺ نقل من تراب الخندق، حتى وارى الترابُ جلدةَ بطنه، وهو يرتجز بكلمة عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

اللَّهُمَّ لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقْنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سكينةً علينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إنَّ الأُلى قد بَغَوا علينا ... وإنْ أرادوا فتنة أبينا» (٢)(٣)

---

(١) أورد هذا الأثر أكثر المفسرين، انظر مثلاً: تفسير البغوي، ٧/ ٢٩٨، تفسير القرطبي، ١٦/ ٢٦٤، وذكره العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٨٣٩، والمباركفوري في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/ ٣٧٨.

(٢) متفق عليه: البخاري، برقم ٤١٠٦، وفيه برقم ٣٠٣٤، ورقم ٤١٠٤، ومسلم، برقم ١٨٠٣، بلفظ: «والله لولا أنت...».

(٣) انظر: مدارج السالكين، ٢/ ٥٠٢ – ٥٠٤ بتصرف.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل، والزلازل، والمفظعات، مما يثبّتها، ويسكِّنها، ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد»[١]، وهي: «الثبات والطمأنينة، والسكون المُثَبِّتَة للفؤاد»[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: « (السكينة) إذا نزلت على القلب اطمأنّ بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب، والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا، والفحش، واللغو، والهجر، وكل باطل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كُنَّا نَتَحدَّث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه»[٣].

وكثيراً ما ينطق صاحب (السكينة) بكلام لم يكن عن فكرة منه، ولا روِّية، ولا هبة، ويستغربه هو من نفسه، كما يستغرب السامع له، وربّما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه.

وأكثر ما يكون: هذا عند الحاجة، وصدق الرغبة من السائل، والمجالس، وصدق الرغبة منه: هو إلى الله، والإسراع بقلبه إلى بين يديه، وحضرته، مع تجرُّدِه من الأهواء، وتجريده النصيحة لله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٨.

(٣) مدارج السالكين، ٢/ ٥٠٦، والأثر رواه الإمام أحمد، برقم ٥١٤٥ عن ابن عمر، وهو عند أبي داود، برقم ٢٩٦٣، وابن ماجه، برقم ١٠٨، عن أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٠٨، ولم أجد رواية ابن عباس التي أشار إليها الإمام ابن القيم رحمه الله.

obeikandl.com

ولرسوله، ولعباده المؤمنين، وإزالة نفسه من البين»[١].

ومن السكينة: سكينة الخشوع عند القيام بالعبادة لله تعالى، وهو الوقار، والخشوع الذي يحصل لصاحب مقام الإحسان .

ولما كان الإيمان موجباً للخشوع، وداعياً إليه، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**﴾[٢] دعاهم من مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، يعني: أما آن لهم أن يَصِلُوا إلى الإحسان بالإيمان؟ وتحقيق ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم؟»[٣].

٥- **الإخبات:** التواضع والخشوع، واللين، والسكون[٤].

وهو من أول مقامات الطمأنينة: كالسكينة، واليقين، والثقة بالله تعالى، ونحوها، فالإخبات مقدماتها، ومبدؤها، والإخبات أوَّلُ مقام يتخلَّص فيه العبد من التردُّد، الذي هو نوع غفلة وإعراض[٥].

٦- **الطمأنينة:** قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ***

---

(١) مدارج السالكين، ٢/ ٥٠٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم، ٢/ ٥٠٩- ٥١٠.

(٤) تقدم ذكر مراجع هذه المعاني في المبحث الرابع في فضائل الخشوع، البند رقم ٧.

(٥) انظر التفصيل في: مدارج السالكين لابن القيم، ٢/ ٣- ٨.

(٦) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[١].

(الطمأنينة) سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف: «**دعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»[٢] أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع، ويجد عنده سكوناً إليه، والكذب يوجب له اضطراباً وارتياباً، ومنه قول النَّبيّ ﷺ: «**الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ**»[٣] أي سكن إليه، وزال عنه اضطرابه وقلقه.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ أي: تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولىً ونصيراً؛ ولهذا قال: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ أي: هو حقيق بذلك»[٤].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

---

(١) سورة الفجر، الآيات: ٢٧- ٣٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، برقم ١٧٢٤، ١٧٢٤، والترمذي ، برقم ٢٥١٨، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي، برقم ٥٧١١، وابن خزيمة في صحيحه، ٥٩/٤، برقم ٢٣٤٨، والدارمي، ٣١٩/٢ ، برقم ٢٥٣٢ ، وابن حبان، ٤٩٨/٢، برقم ٧٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ٥٢/٥، برقم ٥٧٤٧، والحاكم، ١٥/٢، برقم ٢١٦٩، وقال : صحيح الإسناد وأبو يعلى، ١٣٢/١٢، برقم ٦٧٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٩٣٠.

(٣) أخرجه أحمد، برقم ١٨٠٠١، والطبراني، ١٤٨/٢٢، برقم ٤٠٣، والدارمي، ٣٢٠/٢، برقم ٢٥٣٣، وأبو يعلى، ١٦٠/٣، برقم ١٥٨٦. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٨٨١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ص ٧٠٧.

﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ أي: حقيق بها، وحريٌّ بها أن لا تطمئنَّ لشيء سوى ذكره؛ فإنه لا شيء ألذ للقلوب، ولا أشهى، ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته»[(١)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وفي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ**﴾[(٢)] دليل على أنها لا ترجع إليه إلا إذا كانت مطمئنة، فهناك ترجع إليه، وتدخل في عباده، وتدخل جنته، وكان من دعاء بعض السلف: «اللهم هب لي نفسا مطمئنة إليك»[(٣)].

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤١٧- ٤١٨.

(٢) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧- ٢٨.

(٣) مدارج السالكين، ٢/ ٥١٤، والأثر لم أجده إلا في التفسير القيم لابن القيم، ١/ ٤٩١.

obeikandl.com